الولاء والبراء !

دراسة فى منهجية الدكتور إبراهيم عوض فى الرد على المستشرقين

د.مصطفى محمد أبو طاحون

كلية الآداب – جامعة المنوفية

منذ حصل الدكتور إبراهيم عوض على درجة الدكتورية من جامعة أكسفورد فى أواخر يوليه 1982، وهو متابعٌ، لم تنقطع صلتُه بكتابات الغربيين عن أدب العرب ودينهم ولغتهم وثقافتهم، وبنظرة عَجْلَى لكتاباته ومؤلفاته، يتجلَّى حرصه على هذه المتابعة، خاصة لكتَّاب إنجلترا وفرنسا، فمن مؤلفاته :

(1) المتنبِّي إزاء القرن الإسماعيلي فى تاريخ الإسلام (مترجم عن الفرنسية مع تعليقات ودراسة) [1].

(2) المستشرقون والقرآن.

(3) السجع فى القرآن (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة).

(4) جمال الدين الأفغاني – مراسلات ورسائل لم تُنْشَرْ من قبل (مترجم عن الفرنسية).

(5) أصول الشعر العربي (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة).

(6) مصدر القرآن – دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي.

(7) ثورة الإسلام – أستاذ جامعي يزعم أن محمدًا لم يكن إلا تاجرًا (ترجمة وتفنيد).

(8) دراسات دينية مترجمة من الإنجليزية.

---

1 (?) يُراجع فى هذه المؤلفات: مدخل إلى الأدب العربي لهاملتون جب ، قراءة نقدية مع النص الإنجليزي ، دكتور إبراهيم عوض، ص 189، المنار للطباعة والنشر بالقاهرة، 2008. وقد اعتاد الدكتور عوض إثبات مؤلفاته بنهاية كتبه، على نحو ما ورد هنا.

(9) دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية – أضاليل وأباطيل.
(10) مختارات إنجليزية استشراقية عن الإسلام.
(11) نظـرة عن فن الكتابـة عنـد العـرب فى القـرن الثـالث الهجـري (مترجم عن الفرنسية).
(12) مدخل إلى الأدب العربي لهاملتون جب – قراءة نقدية.

وبخلاف هذه، فبين يديَّ الآن كتابُه : "أبو نواس الحسن بن هـانيء دراسة فنية نفسية اجتماعية أخلاقية "[2] وقد أعقبَ صفحةَ الغلاف بتنويــهٍ، قال فيه :

"هذه الدراسة تضع نصب عينيها، طول الوقت، كتاب المستشرق : "Philip Kennedy " Abu Nuwas- A Genius of Poetry الصادر عن دار One world publications بأكسفورد ، ضمن سلسلة " The Makers of the Muslim World" عام 2005.

من الجلي إذن، حـرصُ الـدكتور عـوض ودأبـه على متابعـة دراسـة الاستشراق، من لدن تحصَّلت له مواهبُ هذه المتابعة وحتى الآن.

الأمر الذى يتوجَّبُ معه، ضرورةُ دراسـة تآليفـه الخاصـة بـردوده على حركة الاستشراق، تقديراً لجهوده، ومحاولة لبيان معـالم منهجـه فى الـرد عليهم، وقـد جـاءت الدراسـة بعنـوان: **"الـولاء والـبراء ! دراسـة فى منهجية الدكتور إبراهيم عوض فى الرد على المستشرقين"**.

وقد اتَّخَذْتُ من قراءة الدكتور عوض النقدية لكتاب هـاملتون جب " مدخل إلى الأدب العربي" أنموذجاً. وجاءت الدراسة فى :

مقدمة، ومدخل، ومبحثين؛ الأول : حول المنهج، والثاني عن : معالم منهج الـدكتور إبـراهيم عـوض فى الـرد على المستشـرقين ، وانتهت الدراسـة بخاتمة، أعقبتها قائمةُ المصادر والمراجع.

---

2 (?) أبو نواس الحسن بن هـانئ دراسـة فنيـة نفسـية اجتماعيـة أخلاقيـة، الـدكتور إبراهيم عوض، مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة، 2015.

ويُعْنَى المدخل ببيان اهتمام المستشرقين بالأدب العربي، أسبابه ودوافعه وأعلامه، ومحاولات العرب الرواد فى الرد عليهم.

مدخل:

الاستشراق حركةٌ علمية فى مضمونها الأساسي، صار له كيانهُ، ومناهجُه ، وروَّادُه ومريدوه، ومؤلفاته وجهوده، وبواعثه، ومقاصده .. المعلنة والمستترة .. العلمية والاستعمارية.

وقد جاء فى تعريفه "استشرق: طلب علوم الشرق ولغاتِهم .. يُقال لمن يُعنى بذلك من علماء الفرنجة، والمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه"[(3)].

وحدد قاموسُ "أكسفورد الجديد" المستشرقَ" بأنه: " مَن تَبحَّر فى لغات الشرق وآدابه"[(4)]، وقد كان أول استعمال لكلمة مستشرق فى سنة 1630م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفى سنة 1691م وجدنا " أنتوني وود" يصف صموئيل كلارك بأنه "استشراقيٌّ نابه"[(5)].

وعلى الرغم من أن الاستشراق "لا يقدِّسُ إلا غاياتِه وأهدافَه"[(6)]، فمن الإنصاف، الإيمان بأن المستشرقين ليسوا سواءً ، منهم المتحاملون على العربية والإسلام الحانقون عليهما جميعًا، وما يتَّصل بهما من أدب ولغة وثقافة وفكر وتاريخ ودين .. ومن هؤلاء: رينان، وجبرائيل هانوتو، وزويمر، ودنلوب[(7)]، وأبرز ما يعيب هؤلاء فى دراساتهم الانتقائيةُ والانتقاصيةُ؛ أعني بالأولى، عدم تجرُّدهم للعلم بإظهار كامل الحقيقة وتحرِّيها .. إذ يعمدون فى دراساتهم للتراث الإسلامي إلى "إبراز جانب منه، والإغضاء

---

3 (?) فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربي المعاصر ، دكتور أحمد سمايلوفتش ، ص 22، دار المعارف بمصر، د.ت." رُقِّمَ الإيداع فى 1980".

4 (?) فلسفة الاستشراق، ص 23 .

5 (?) فلسفة الاستشراق 22.

6 (?) نفسه 7 .

7 (?) يُراجع فى هؤلاء المتحاملين : فلسفة الاستشراق 3.

عن جوانب، وعلى ضوء هـذا الهـدف المسـموم المـدبَّر، الـذى يـرمي إلى إبراز جوانب الضـعف والإغضـاء عن جـوانب القـوة ـــ كُتِبَتْ الموسـوعاتُ الأوربية فى الشرق والغرب عن الإسلام"[8].

ويُحْسَبُ لبعض المستشـرقين"هم بحسـبان الكَمِّ قلـةٌ، إذا مـا قِيسُـوا بإجمالي عدد المستشـرقين" أنهم أنفسَـهم مَنْ أسـهموا في كشـف زيـف حركة الاستشراق، حين نبَّهوا إلى أخطائها- وأخطارها ربما ـ .

وقد أسهمت السُّهْمَةَ الكبرى فى بيان تحامل الحركـة وضـلالها حركـةُ اليقظة الإسلامية فى مطلـع القـرن الميلادي الفـائت. أمـا المنصـفون من المستشـرقين، فمنهم : جوسـتاف لوبـون، وتومـاس كارليـل، وتومـاس آرنولد، وسجريد هونكه ، وبرنارد شو، وليوبولد فابس[9].

وقد اهتم المستشرقون بالأدب العـرب جـدًّا، وتنـوَّعت جهـودُهم فى متابعتـه، فَعُنُـوا بتحقيـق المخطوطـات، ودراسـة الأدب العـربي، والتـأريخ للعصـور الأدبيـة، وتـأليف دائـرة المعـارف الإسـلامية، وفهرسـة المعـاجم العربية، والبحث فى تأثُّر وتأثير الأدب العربي بغيره وفى غيره.

وقد كان لاهتمام المستشرقين بالأدب العربي قبل غـيره أو أكـثر من غـيره من تراثنـا أسـبابٌ خاصـة، تتصـل بحقيقـة الاستشـراق الراميـة إلى التعرُّف على طبيعة الشعوب العربية المرشَّـحة لأن تكـون سـوًقا لبضـاعة الدول الكبرى، وتابعـة لسياسـتها، ومجـالاً للصـراع الكـوني، بهـدف تـأمين بلادهم من هبَّة كونية جديدة، كتلك التى فاجأهم بهـا الإسـلامُ والمسـلمون قبل ألف وأربعمائة عام. لقـد أدرك المستشـرقون أن الأدب يمكِّنُهُمْ من التعـرف الـدقيق على شـعوب هـذا الأدب ، اهتمامـاتِهم، طـرقِ تفكـيرهم، ماضيهم، وحاضـرهم، صـراعاتهم مـع الآخـر وتصـارعهم الـداخلي وغيرهـا. تُقـرر هـذا الأمـر المستشـرقةُ الألمانيـة المعاصـرة "ريجينـا قرشـولي" إذ تقـول: " إن الأدب يشـكل فى اعتقـادي أحـد أفضـل السـبل للتقـارب بين

8 (?) سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية، أنور الجنـدي، ص 7، دار الجيل بيروت، مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الثانية ، 1985.

9 (?) يُراجع فى هؤلاء المنصفين : سموم الاستشراق 9.

الشـعوب، لأننـا نسـتطيع أن نتلمَّسَ من خلال مـا ينتجـه شـعبٌ من أدبٍ ملامحَ الوجه الحقيقي لهذا الشعب"[10].

الأدب إذن لدى المستشرقين وثيقةٌ اجتماعية صادقة موثوقة، تمكنهم من التعـرف إلى الشـعب، دون التعـرُّض لمخـاطر جمـع المعلومـات والاستبيانات، لقد عُنِيَ الاستشراق بالأدب العربي؛ إذ "اهتم بكل ما يتعلـق بـه، حيث درس تاريخـه وتطـوره، وقيمتـه وأصـالته، وعصـوره، ونهضـته، وتـأخره، وازدهـاره، وانحطاطـه ، وانتحالـه، وسـرقاته، وتـأثره وتـأثيره، وأعلامه، وشعراءه، وكُتَّابَه، وقد كانت عنايته به أكـثر وأشـد شـغفًا وأوسـع انتشارًا ، وأصعب دراسة، لأنها محاولة لفهم الشخصية العربيـة، والإحاطـة بها من كل جوانبها، مما يدل على مبلغ أهمية دراسته للفكر العربي عامة، والأدب العربي خاصة"[11].

وقد حصر الدكتور "أحمد سـمايلوفتش" أسـباب ولـع المستشـرقين بدراسة الأدب العربي فى خمسة أسباب هي :

" أولا: صلة هذا الأدب بالإسلام وكتابه القرآن الكريم.
ثانياً: أهميته لدراسة الشخصية العربية وفهمها.
ثالثاً: أثره فى آداب مختلفة، ومنها الآداب الأوربية.
رابعاً: منزلته بين الآداب العالمية، واستمرار تاريخه.
خامساً: اهتمام النزعتين الرومانتيكية والإنسانية معًا بالآداب الأخرى، ومن بينها الأدب العربي"[12].

---

10 (?) يراجع فى ذلك : الحوار الذى أجراه حسونة الصباحي مع المستشرقة "ريجنيـا قرشولي" فى مجلة المجلة، العدد (684) 17-23، مارس 1993.

11 (?) فلسفة الاستشراق 185، 186. ويراجـع أيضًـا بالكتـاب ذاتـه، ص 490 لبيـان سبب اهتمام المستشرقين بالأدب العـرب ، وأنـه فـاق كـل عناياتـه الأخـرى، إذ إن "أعظم مآثر أصحابه، قد أفرغت فى اللغة التى ظلت باستمرار ملتصـقة بالشـعب وتاريخه. ويبدو جليًّا للمتعقب أن العقلية العربية قد وجدت فى فن القول وأحكامه أهم وسائل النجاح والتأثير، مما جعل اهتمام الاستشراق بدراسة آدابها أمرًا حتميًّا، لفهم حياتها ونشاطها، إذ إن الأدب العربي يقدم إلينا من وجهة النظـر الأدبيـة ومن وجهة النظر التاريخية أيضًا حقلًا خصبًا، إلى حدٍّ بعيد لدراسة الحياة العربيـة والنظم العربية".

12 (?) فلسفة الاستشراق 491 .

وقد قابل هذا الاهتمامَ من قبل المستشرقين بالأدب العربي، شيءٌ من المتابعة، على قلتها، وقلة عدد القائمين عليها، فإنها آتت أكلها، فى توعية الأمة بمخاطر الكتابات المغرضة التي تحيَّفت الحق، وجانبها الصوابُ، وتحسب لهذه القلة.. الكثيرةِ بما فعلت.. أنها رفعت عن الجميع عاقبة التقصير، حين انتدبت نفسها للاضطلاع بدور الكافي أمتَه بأسرها إثم التفريط فى فرض الكفاية، وأيًّا ما يكون المجال العلمي الذى تنتمي إليه ردود العلماء العرب في الرد على المستشرقين؛ أهو أدبٌ جدليٌّ أم فلسفيٌّ، أم أدب دفاعي، أم رساليٌّ يعبر عن هُوُيَّةِ الأمة ويدفع عنها غوائل المعتدين، فإنه من الحق" إذا كانت القضايا التى آثارها الاستشراق تعدُّ أخطر هجوم قام به أصحابه على العرب وشخصيتهم ودينهم ولغتهم وفكرهم وثقافتهم وأدبهم، فإن رد الفعل الذى قام به العربُ يعد بحقٍّ أروع دفاع عمَّا هو عربي وإسلامي، حتى ليستطيع المرء أن يعتبر ما أنتجوه خلال مواجهتهم لهذا الهجوم أروع ما فى أدبهم المعاصر من فكر وفلسفة وعمق وثقافة ومنطق. وسواء اعتبر المرء هذا النوع من الأدب أدباً جدليًّا أم أدبًا فلسفيًّا أم أدبًا دفاعيًّا فلا يسعه إلا وأن يعترف بروعة أسلوبه وغزارته، وما فيه من خصائص ومميزات"[13].

من هؤلاء الروَّاد الذين تولّوا مَهَمَّةَ تفنيد مزاعم المستشرقين بالرد عليهم محمد فريد وجدي، محمد حسين هيكل، والعقاد، ومالك بن نبي، ومحمد البهي، ومحمد محمد حسين، ومحمود شاكر، وأنور الجندي. وعلى خطا هؤلاء الأبرار يسير الدكتور إبراهيم عوض مقتفياً آثارَهم وآثار الأستاذ الإمام محمد عبده، مع أستاذه الأفغاني، حينما ردّوا على "هانوتو" افتآتَه على الإسلام.

والدكتور إبراهيم عوض واحدٌ من الندرة المصرية المثقفة، التى طوَّعت صلتها الفكرية بالغرب فى الدفاع عن ثوابت الأمة، وعقيدتها، وإبراز الحقيقة رعايةً لذمام العلم، وهو أحد الأعلام الأكاديمية التى توفَّرت على ثقافة الغرب ولغته، وعلى تآليف كبار المستشرقين فى بيان مغالطاتهم ودحض افتراءاتهم؛ وهو إذ يفعل؛ يفند آراء الآخر بالحقائق العلمية،

13 (?) فلسفة الاستشراق 684.

والوقائع التاريخية الثابتة، والحجج المنطقية التى لا تقبل دفعًا، والاستناد إلى تعارضات الآخر فى كلامه، بدءًا وانتهاءً، فى أسلوب يتَّسم بالإسهاب والعمق، يقرِّران تمكُّنَه، ووعيَهُ ، ويكشفان عن انتماء صادق لهوية الأمة وثوابتها.

ويتمتع الدكتور عرض فى رده على المستشرقين أكثر من غيره من المعاصرين بِعِدَّةِ مزايا ، أراه بها صاحبَ منهج متفرِّدٍ فى أدب مُحَاجَجَةِ المستشرقين ، من ذلك :

أولا: ثقافته الإسلامية المحصّنة

فهو المؤمن الغيور، والعالم المطَّلع، المصريُّ الإنساني المتسامح، المُنصف ، الذي يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا ، غيرَ المجتزَأ ، ولا المحرَّف ولا المنقوص ، وفى غير ما إفراطٍ أو تفريط ، يفهمه كما طبق النبيُّ، وكما كانت سيرته (صلى الله عليه وسلم) .

يَرُدُّ على "جِبْ" حين صور دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) أنها تنحصر فى دعوة قومه إلى الإيمان بالله وقدرته وعظمته وباليوم الآخر، فيقول:

"إن الدعوة المحمدية المباركة كانت أوسع من ذلك مدىً وأكثر تنوعًا وأرحب آفاقًا. ذلك أنها لا تقف عند الإيمان بالله واليوم الآخر. بل كانت هذه نقطة البداية التى انطلقت منها إلى ميدان الأخلاق والعبادات والمعاملات، فحثَّت على أداء الصلاة وإيتاء الزكاة والعمل الصالح والإنتاج والإبداع والسعي وراء العلم والتعاون على البر والتقوى والعدل والصبر والصدق والوفاء بالوعد والنظافة والنظام ورهافة الذوق وحسن اللياقة.. وفى المقابل حرَّمت الزنا والكذب والغدر والخيانة والكبر والغرور والظلم والسرقة والتجسُّس وقتل النفس .. كما وضعت القوانين والقواعد لكل أمر من أمور الحياة"[14]. ثم يكشف عن إيمانه بشمولية الإسلام، فيقول:

---

14 (?) مدخل إلى الأدب العربي "جب" ص 49ـ 50. وسيُشار إليه فيما بعد بـ"مدخل إلى الأدب"ـ

"لقد كان الإسلام دعوة شاملة تتناول العقائد والعبادات والمعاملات و الأخلاق وتشرع للسياسة والحرب والسلم والـزواج والطلاق والزنـا والـبيع والشراء والدُّيُون والربا والتقاضي والقصاص والديات والدفن"[15].

ثانياً: وعيُه الحضاري الدقيق بخصوصية المرحلة التاريخيــة والحضارية

يقول بعد تفنيده لمزعم "جب" عن العصر المملوكي أنـه كـان عصـر تدهور سياسي وعسكري، وتأكيده أن الأمة استطاعت بالعصـر المملـوكي "دحـر أخطـر موجـتين اسـتعماريتين إجراميـتين مرَّتـا عليـه فى تاريخـه القـديم : مَوْجَـةِ الصـليبيين القتلـة الفسـقة، وموجـة التتـار المُـدمِّرين المُهلكين". يقول بعد ذلك عن وقتنا الراهن:

"وها نحن أولاء يحاصرنا الاستعمارُ الغربي المجرم من كل جانب بعد أن ظننَّا غباءً منا وغفلة وسذاجة ما بعـدها سـذاجة، أننـا قـد تخلصـنا منـه إلى الأبد، فإذا به يعود أكثر شراسة وأشد طمعًا وأبشع وسـيلة وأشـنع كراهيـة وبغضًا"[16].

ومن الجلي أن شناعة البغض، وبشاعة وسائل الغـرب فى مواجهتنـا، ترتبــط بتطــور هــذه الوســائل الــتى لم تعــد مقصــورة على المواجهــة العسكرية، التى تـأخرت إلى آخـر الاختيـارات المتاحـة للغـرب، والـتى إن كانت ، فليست إلا بأيدٍ أخرى ناعمة يُديرها الغرب من خلف سـتار، ويـدفع تكاليفَها الأغبياءُ من عملائه.

ثالثاً: تضلعه فى تخصصه الأدبي

وجميع كتابات الدكتور إبراهيم عوض، بتنوعها وتعمقها، وترامي العصور التاريخية التي تتناولها شاهدة على ذلك... ولبيان شـيء من هـذا التضـلُّع ، يغنينا مثلٌ واحد، نستخلصه من رده على "جب" بشأن ادعائه أسـتاذية أبي العتاهية للشعر الديني فى الأدب العربي. يقول الدكتور عوض :

---

15 (?) مدخل إلى الأدب 50.

16 (?) مدخل إلى الأدب 179.

"لا أسـاس لصـحة مـا قالـه المستشـرق البريطـاني من أن الشـاعر العباسي المعروف بـ "أبي العتاهيـة" هـو أسـتاذ الشـعر الـديني فى الأدب العــربي (ص63) ذلــك أن أبــا العتاهيــة ليس أول من نظم الشــعر من المسـلمين فى الموضـوعات الدينيـة، إذ كـانت تلـك الموضـوعات محـورًا لشعر عدد غير قليل من شعراء صدر الإسـلام وبـني أميـة: كلـه أو بعضـه، ومنهم : عبد الله بن أذينة ومسكين الدارمي وأبو الأسـود الـدؤلي وسـابق البربري"[17].

ويخيل للقارئ أن الدكتور أكاديميٌّ متخصص فى الأدب الإسلامي. ومن يقرأ كتاباته فى الأدب الحديث أو الدراسات القرآنية أو النقدية أو البلاغيــة أو الفكرية أو التاريخية أو اللغويـة، فضـلًا عن اهتماماتـه بـالأدب الخليجي والسعودي، يدرك بما لا يدع مجالاً لمتشككٍ تضطلعَ الرجل.

رابعاً: ثقافته الموسوعية اللغوية والتاريخية والأدبية

وبحق فإنه يصعب أن يتوفَّر على ثقافة الدكتور عوض إلا الأقلُّون، وهـو بقيةٌ باقية – نسأل الله له بركةَ العمر وطـول الأجـل – من علمـاء العـرب الموسـوعيين ، ففي عرضـه لكثـير من مسـائل "جب" تتـدفق معلوماتُـه بشـأن المسـألة الواحـدة، بحيث يُظَنُّ ألا مزيـد لزائـدٍ فيهـا، فحين يعـرض لتعدد روايات الشعر الجاهلي، وأثر شـفاهيته فى ذلـك، تتـدافع على قلمـه ثقافته الموسوعية هذه، يقول:

"تناول بعضُ الباحثين الغربيين والعرب أثر الشفاهية فى هذه المجال ، ومنهم جيمس مونرو فى بحثه المسمى "Oral Composition in Pre-Islamic Poetry" (الذى ترجمه د. فضل ابن عمار العماري ونشـره فى كتاب بعنوان " النظم الشفوي فى الشعر الجاهلي) و"مايكل تسفتلر" فى دراسـتيه حـول الشـعر العـربي القـديم بين الشـعبية والروايـة الشـفوية ، والرواية الشفوية للشعر العـربي القـديم، و"مايكـل ماكدونالـد" فى كتابـه عن الشعر المروي شفاهًا فى بلاد العرب وغيرهـا من مجتمعـات مـا قبـل التعليم، وعبد المنعم خضر الزبيدي فى رسالته : "مقدمة لدراسـة الشـعر

---

17 (?) مدخل إلى الأدب 96.

الجاهلي" وكاتب هذه السطور عند تناوله لبحث مونرو فى الفصل الأخير من كتاب "المرايا المشوَّهة – دراسة حول الشعر العربي فى ضوء الاتجاهات النقدية الجديد"[18].

خامساً: انعزاله الذكي الموفق عن المناصب الإدارية أو الانتماءات السياسية أو المذهبية

وقد أتاح له ذلك وقتًا وهدوء بال – متَّعه الله بهما دومًا- ومنحه إجماع حبٍّ من كلِّ سويٍ عربي أصيل.

ومن دون ريبٍ فإن إتقانه لأكثر من لغة أجنبية عصرية، أهمها الإنجليزية والفرنسية كان مما أسعفه على التميُّز ، وأعانه على مهمته الجليلة التى انتدب نفسه لها.

المبحث الأول : حول المنهج

يتصل هذا المبحث بمنهج الدكتور إبراهيم عوض فى الرد على المستشرقين، متخذًا كتاب هاملتون جب"[19]، (مدخل إلى الأدب العربي)

---

18 (?) نفسه 43، 44.

19 (?) ينتمي "هاملتون جب" بما هومستشرق إنجليزي بالقوة لا بالفعل إلى المدرسة الإنجليزية وهى حسب ما يذكره "يوسف أسعد داغر" فى (مصادر الدراسة الأدبية) 2/776 تتميز " بما يتميز به الإنجليزي من أخلاقية ومناقبية وصفائية، فصاحبها باستمرار دؤوب ، صبور جَلِيدٌ في بحثه يقلبه على وجوهه المختلفة.. دون أن يتأثر أو تبدو عليه مظاهر الانفعال حتى يستفرغ كل مدلوله .. فهو إلى هذا واقعي موضوعي".

وقد فارق "جب" هذه الفضائل ، فلم يتسم بشيء كبير منها، إذ إنه " لم يتعرض لأي نقطة أدبية أثارها بالقدر الذي كان يجب عليه أن يفعل ذلك" يراجع فى ذلك : فلسفة الاستشراق 337.

ويقول عنه بالصفحة ذاتها "أحمد سمايلوفتش" (إننا لم نر تعصباً بهذا الشكل كما هو عنده، وعند صديقه الذي أشاد به وهو "جولدزيهر" ، ولعلهما كانا مأجورين للنيل من القضايا الدينية بوجه خاص والمسائل الأدبية بشكل عام) . ويقول أيضاً عنه (338): "يعجز .. عن طرح أية قضية أدبية وإبداء الرأي فيها"

أما "هاملتون جب" فمستشرق إنجليزي، وُلِدَ بالإسكندرية (مصر) ، وبحسب ما ورد فى "موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص 174، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الثالثة، يوليو 1993:" فى 2 يناير 1895م ، وتوفيَ فى 22 أكتوبر 1971 فى أكسفورد. تخصص فى اللغات السامية : العربية والعبرية والأرامية.. وفى 1922 حصل على درجة الماجستير M.A. من جامعة لندن. وقد نال فى حياته كثيراً من ألقاب التشريف التى لا يستحقها علميًّا، والواقع أن

، أنموذجًا، لا فى أصول المنهج، بل بما يمكن أن يكون بالهامش لمتنٍ[20] يُعنى بعناصره المبحثُ الثاني.

حول المنهج يعنى قبل بيان معالم المنهج الرئيسة، بما يتصل بمنهجية "عوض" دومًا مع "جب" وغيره، فى هذا الكتاب وغيره، بما يمثل خلفيةً منهجيةً – وليس فى ذلك تعارض، من حيث إنها تتصل بما حول المنهج – ثابتةً انتهَجَهَا "عوض" فى أكثر كتاباته الجدلية.. النقدية.

هاملتون جب كانت شهرتُه فوق قيمته العلمية ، وإنتاجه أدنى كثيرًا من الشهرة التى حظيَ بها لأسباب كلها بعيدة عن العلم.

وهذا الإنتاج يتوزع بين ثلاثة ميادين: الأدب العربي، التاريخ الإسلامي، الأفكار السياسية الدينية فى الإسلام.. فى ميدان تاريخ الأدب العربي (و) إنتاجه فيه تافِهٌ ضئيلُ القيمة محدود الاطلاع. (و) طابع كل ما كتبه جب : العموم والسطحية".

وقد أثبت الدكتور "عبد الرحمن بدوي" لجب فى ترجمته له بموسوعته من مؤلفاته فى الأدب (وقصد بأولها على الراجح الكتاب موضع الدراسة للدكتور عوض) أنه " فى 1926 أصدر كتيبًا صغيرًا بعنوان "الأدب العربي" وهو كتاب صغير سطحي تافه، قصد به إلى القرَّاء الإنجليز، وقد أعاد طبعه منقحًا فى 1963.

وفى عام 1928 بدأ سلسلة مقالات فى الأدب العربي المعاصر، نشرها فى "مضبطة مدرسة الدراسات الشرقية BSOS أولها مقالة عن الأدب العربي فى القرن التاسع عشر، وتلاها بمقالة ظهرت 1929 عن "المنفلوطي والأسلوب الجديد"، ومقالة عن "المجددين المصريين" ومقالة ظهرت 1933 عن "القصة المصرية".

أما الدكتور "أحمد سمايلوفتش" فقد ذكر لجب من مؤلفاته فى الإسلام وحضارته منفردًا، أو بالاشتراك مع غيره ما يلي : "فلسفة الاستشراق 759".

<u>أما المنفردة فهي :</u>

- الاتجاهات الحديثة فى الإسلام، ترجمة جماعة من الأساتذة الجامعيين ، المكتب التجاري بيروت 1961.
- دراسات فى حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس وآخرين ، دار العلم للملايين، 1964.
- مقال : الدراسات العربية وشئون الشرق الأوسط فى أمريكا، مجلة جمعية الفكر الليبية ، أغسطس 1869 (هكذا؟) منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس ، ليبيا.

<u>وأما التى بالاشتراك فهي :</u>

- تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وآخرين، لخبة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936.
- وجهة الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المطبعة الإسلامية ، القاهرة ، 1934.
- المجتمع الإسلامي والغرب، بالاشتراك مع "هارولد بوون" ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف بمصر، 1971.

20 (?) عرض الدكتور "أحمد سمايلوفتش" لكتاب "جب" بعد التعريف به عرضًا سريعًا، لم يتجاوز الصفحتين ، عاب فيه عليه غموضه فى بعض الأحيان، ونسبته تطور الأدب العربي والنهضة العربية إلى الحملة الفرنسية، وعاب عليه أيضًا أنه أخَذَ (ص341) : " فى تتبُّع أدوار هذه النهضة تاريخيًا دون أن يفصل القول فى

وتتمثل تلك الملامح الحافَّةُ بمنهجية عوض فى هذا النوع من كتاباته فى :

(1) الإنصاف.
(2) عدم المصادرة بإبداء الرأي.
(3) الوعيُّ بمقاصد الاستشراق.
(4) إثبات ما يتصل بالذات.

أولا : الإنصاف

عُرِفَ الدكتور "عوض" بانحيازه إلى الحق والحقيقة، ولأن الرجل عاش مترهِّبًا بمحراب العلم قبل أي شيء آخر يمكن أن يشغل مثله ومَنْ

أعلام الشعر أو الأدب، أو من قاد حركة التحضر الأدبي ودفعَها إلى الأمام" وقد أرجع " سمايلوفتش" القصور فى كتاب "جب" إلى عدة أمور، وهي :

1- أن "جيب" لم يطوِّر ما كتبه عن العالم العربي منذ سنين عديدة، والنظرة الأولى حمقاء كما يقولون، فقد ألَّف كتابه هذا عام 1926 واعترف فى الطبعة الثانية أنه لم يُدخل عليه شيئًا جديدًا، وكان الأولى أن يحاول المرة تلو الأخرى أن يرجع الى ما كتب ليتبيَّن وجه الحق والصواب فيما يقوله، ولكنه لم يفعل.
2- أن هذا لم يكن كتابًا بالمعنى الصحيح، وإنما عِدَّةُ مقالات تختلف طولاً وقصرًا، جُمعت فى كتاب بين دفتين، والمقالات القصيرة لا تفي فى أكثر الأحيان بالغرض الذي تتناوله.. إن جيب لم يتناول أي قضية أدبية بالتفصيل، ولم يوازن بين علماء الغرب وعلماء العرب مثلاً ، وكان فى استطاعته أن يفعل ذلك.
3- أنه اتَّبع التاريخ حرفيًّا ، وقسم الأدب العربي إلى أقسام ، وسار على هذه الأقسام التى حددها بدون أن يتناول مؤلفات أدبية شعرية أو نثرية، ومن ثم لم يكن للجانب الأدبي الصورة التى يمكن أن نرضى بها بعد قراءة دراسته هذه.
4- أنه اعترف بنفسه بضآلة الجزء الذي تناول فيه الأدب مما يغنينا عن كثير من الجدال، وعلى الرغم من أنه قد اعترض على "بروكلمان" وسمَّى كتابه (كتالوج) فإنه للأسف سار فى وادٍ ضيق، ولم يفصل القول فى أمور الأدب ولا فى قضاياه".

يراجع فى ذلك : " فلسفة الاستشراق 339، 340".

فالاختصار والسطحية هما سمة كتاب جيب، كما يرى "سمايلوفتش" ويتفق معه فى ذلك الدكتور عوض، كما سيلي فى المتن. والسؤال إذا كان كتاب "جيب" هكذا ، فَلِمَ إذن عناءُ متابعته وترجمته؟! ولا أظن الجواب إلا إنهما لشهرة جيب ابتداءً، فللرجل مكانتُه بين المستشرقين ، وقد جاب أوربا وأمريكا وبلاد العرب باحثاً ، يُسمَع إليه ، وترأَّس معاهد علمية وهيئات ، ترسمت خطاه.. وخططه! لذا وجب التتبع ، لرد الشبهات ودحض المفتريات ، واستكمال الصورة وبيان الحقيقة. المتابعة لأجل الكاتب لا الكتاب، فخطورة الصمت على ما يقول كبيرة جدًّا .

بمكانته العلمية السامية، فقد سهَّل الله عليه أن يكون منصفًا وإن مِن نفسه. والقريبون منه، ممن يتصلون به اتصالًا مباشرًا ، يعرفون ذلك جيدًا ويلمسونه دومًا.

لقد أنصف "عوض" المؤلف "هاملتون جب" فى مفتتح دراسته النقدية لكتاب المستشرق "مدخل إلى الأدب العربي" حين قال غير مجامل، بل كاشفًا عن إيجابيات المستشرق وسلبياته :

"إن من الجرأة ولاشك أن يقدم أحدٌ، فضلًا عن أن يكون هذا "الأحد" رجلاً غير عربي، على تأليف كتاب فى هذا الحيز المحدود جدًّا من الصفحات عن أدب كأدبنا يمتد تاريخه لستة عشر قرنًا. ومن ثم فلابد من وضع هذا الاعتبار فى الأذهان عند تقويم الكتاب، الذي أعترف أنني استمتعت بقراءته كثيرًا، رغم كل ما لاحظتُهُ عليه من مآخذ"[21].

إن "عوض" ينصف "جب" استنادًا إلى أعجمية الرجل، وإلى قلة صفحات الكتاب، ويكشف عن استمتاعه كثيرًا بقراءته. لكنه أيضًا يفصح إجمالًا وإلى جوار ما قاله سلفًا عما لاحظه من مآخذ على "جب" وكتابه. يؤكد هذه الرؤية المنصفة مجددًا بالإشارة إلى ما يحسب للمستشرق فى مدخله، وما يؤخذ عليه كذلك ، فيقول:

"أصدر "جب" مع ذلك طائفة من الأحكام النقدية المعقولة على عدد من تيارات الأدب العربي وإبداعاته وأعلامه، مثلما أساء أيضًا في عدد كبير منها. كما أن له تعليقات انطباعية دافئة على بعض النصوص والأدباء تشدُ القارئ وتحببه فى الكتاب رغم كل ما فيه من عيوب. ومن هذه العيوب قلة عدد النصوص التى يستشهد بها على ما يقول"[22].

يسري هذا الإنصاف بكل كتابات "عوض" ويشمل كتابه محل الدراسة، من مفتتحه، وحتى منتهاه، ففى ختامه يكشف عن انحيازه للحق وإن أغضب محبيه، يقول عن علاقة العرب بفن القصص قديمًا إنها متحققة

---

21 (?) مدخل إلى الأدب 8.
22 (?) نفسه، الصفحة ذاتها.

بيقين: "والمضحك أن يزعم المرحوم "الزيات" أن العــرب لم يعرفــوا فن القصص إلا بعد أن أُترفوا فى العصر العباسي وحمل الأعـاجم عنهم أعبـاء الخلافـة، فوجـد الخلفـاء حينئـذ فراغًـا طـويلًا من الـوقت ملأوه بالسـمر والمنادمات بعد أن كان الكتاب الأعجمون كـ"ابن المقفع" قد أدخلـوه فى لغة العرب. أقولُ هذا رغم حبي للزيات وكتابات الزيات بوجـه عـام، إلا أن الحق أحقُّ أن يُتَّبع مهما تكن مرارة النتائج أو قسوتها"[23].

إن ولاء "عوض" للحق والحقيقة جعله يخْتطُّ لنفسه منهجًا متميزًا، فى مجمله، يُعنى بتتبع جوانب المسألة، فى مدونتها الكاملة، مكلفًا ذاتـه عنـاءَ البحث من جديد، دون الانخداع تسليمًا بالقول المشهور فى المسألة، وهو إذذاك وحينذاك يعي تماماً أنه ربما صدم بعض أصحاب العقول المستريحة أو المُراحَـة ممن يسـيرون دون تمحيص على هـدى السـابقين، دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة التبين والبحث عن الحقيقة، فيمـا اختُلِـفَ فيـه على الأقل!! يبدو هذا الـولاء للحـق والحقيقـة متجسـدًا حينمـا عـرض "عـوض" للحلَّاج ورأي "جب" فيه ، إذ يقول:

"أما الحسين بين منصـور الحلاج (ت 309هـ) فيقـول عنـه "جب" إن المستشرق الفرنسـي "لـويس ماسـينيون" قـد أثبت فى دراسـاته أنـه لم يخرج عن سنن الإسلام القديم، بل كان سنيًّا صحيحًا لا علاقة له بـالحلول (ص71).

وليس لديَّ ما أعلق به على هذا الحكم إلا الاستشهاد بشعر الحلاج نفسـه، ومنه الأبيات التالية التي تشهد عليه بالاعتقاد فى الحلول وأنه هو والله شيء واحد:

أنـا أنت بلا شـكٍ　　فسـبحانك
وتوحيدك توحيدي　　سـبحاني
وإسـخاطك　　وعصـيانك
إسـخاطي　　عصـياني
ولِمَ أجلدُ يا ربي　　وغفرانك غفـراني

---

23 (?) مدخل إلى الأدب 186.

إذا قيـــل: هـــو
الـــــــــزاني؟

.. وقوله:

كفرتُ بدين الله والكفر واجب لديَّ وعند المسلمين قبيحُ [24]

ويستمر" عوض" فى الكشف عن رأيه بشأن الحلاج، متتبعًا ما ورد متصلًا به فى كتب القدامى ، فيقول: "وفى "وفيات الأعيـان" لابن خِّلكـان و " نهاية الأرب فى فنون الأدب" للنويري ما يدل على أن سيرة الرجل لم تكن توحي بالثقة والأمان أبـدًا، بـل تشـعرنا أننـا إزاء بهلـوان يعـرف كيـف يضحك على العوام والحمقى بالخدع والشعوذات. وهنـاك شـهادات كثـيرة ضد الرجل ممن كانوا يخالطونه لا تبعث على الاطمئنان إليه أبـدًا، ضـربتُ عنها صـفحًا، وهى متاحـة فى "تـاريخ الطـبري" و"تـاريخ بغـداد" و"وفيـات الأعيان" لابن خلكان و"أخبار الحلاج" لابن الساعي و"النجـوم الزاهـرة فى أخبار مصر والقاهرة" لابن تغري بردي و" نهاية الأرب" للنـويري" و"مـرآة الجنان" لليافعي وغيرها. فيكف يقال إذن إن الحلاج يمثل الإسلام الصحيح ولا يخرج عن سبيله المستقيم؟"[25]

ومن إنصاف "عوض" وأدائه حق العلم من نفسه ، أنه اعتاد مع دراساته لتآليف المستشرقين، أن يثبت النص الأجنبي كاملًا مـع دراسـته[26] إضـافة إلى إثباته فى ثنايا دراسته، النصين: الأصل العربي وترجمة المستشرقين، تزويدًا للقراء" حتى يكون في حوزتهم النصـان، فيحكمـوا على مـدى دقـة الترجمة، وعلى ذوق المستشرق البريطاني في الاختيار"[27].

وما يفعله "عوض" بهذا الشأن، دليلٌ على تمكُّنِـه، ونزاهتـه، إذ ليس لديه ما يخفيه عن قارئه، ولا ما يدلِّسُ عليه فيه. هـو منحـاز للحـق، بـاحث

---

24 (?) نفسه 102.
25 (?) نفسه 103 ، 105.
26 (?) فعل هذا مع دراساته لمرجليوث، وألبير كاكيا.
27 (?) مدخل إلى الأدب 141.

عنه، يسعد به حينما يتحصل عليه ويصل إليه. بخلاف آخرين.. ربمـا نسـبوا لأنفسهم تأليف.. ما ترجموه.. فى الأساس عن غيرهم من الأعاجم.

ومن نماذج جمعه بين النصين؛ الأصل العـربي وترجمـة المستشـرق الأجنبية ، ما نقله "جب" واهمًـا عن المقدسـي. يقـول الـدكتور "عـوض" : "من النصـوص الـتي أورد "جب" ترجمتهـا من كتب الـتراث العـربي النص الذى نقله (ص107) عن المقدسـي، وإن لم يـذكر المصـدر، وهـو بـالطبع رحلتـه المسـماة : "أحسـن التقاسـيم فى معرفـة الأقـاليم", والكلام فى النص عن بغداد: "واعلم أن بغـداد كـانت جليلـة فى القـديم. وقـد تـداعت الآن إلى الخراب، واختلَّت وذهب بهاؤها، ولم أستَطِبَها ولا أُعجبتُ بها، وإن مدحناها فللتعارف. وفسطاط مصر اليوم كبغـداد فى القـديم ولا أعلم فى الإسلام بلداً أجلّ منه " أما الترجمة الإنجليزيـة فهـا هي ذي: " Baghdad was in former times an illustrious city, but it is now crumbling to decay and its glory has departed. I found neither pleasure nor aught worthy of admiration there. Cairo today is what Bagdad was in its prime, and I know of no more illustrious city in Islam."

ولنلاحظ كيف أن المقدسي يتحدث عن مقارنة بغداد بالفسطاط ، أما فى الترجمة فالكلام عن مقارنتها بالقاهرة، وهذه غير تلك"[28].

ثانياً : عدم المصادرة بإبداء الرأي

لا يصادر الدكتور "عـوض" فى كتاباتـه على آراء الآخـرين، كمـا أنـه لا يصــادر بتقــديم النتيجــة على الدراســة، ومــا تســتوجبه من تحَــرٍّ وفحصٍ ومتابعة، حينما عرض "عوض" لرأي "عبد الرحمن بدوي" فى كتاب "جب" وأنه صغيرٌ وسطحي كتب "عوض" فى المفتتح: "أما أنه كتاب صغير، فهـو كتاب صغير دون أدنى ريب. وأما أنه سطحي تافِهٌ أو لا فإن الدراسة الـتي سوف يطالعها القراء في هذا الكتاب تتكفل بالجواب على هذا"[29].

---

28 (?) نفسه 127.

29 (?) نفسه 7، 8.

ثالثًا: الوعي بمقاصد الاستشراق

يبدو لمخموم القلب أحيانًا، براءة جميع المستشرقين فى خدمة أهداف الإمبريالية العالمية، فيؤمن بنزاهة جميع أحكامهم وخلُّوها من هـوى خدمـة مصالح أقوامهم.. ولئن صح هذا فى حق المنصفين منهم، فلا يقول بـه فى حق المتحاملين إلا المخدوعون الحمقى الغافلون.. وربما المستفيدون" .

وقد بدأ "عوض" واعيًا بحيل الاستشراق وأحاييل المستشرقين، وأنهم – بعضهم يقينًا- يقصدون إلى زعزعة اعـتزاز المسـلمين بـذاتهم، وإلى بثِّ الإحسـاس بالدونيـة فيهم، والـزعم بـأنهم اعتمـدوا فى كـل مـآثرهم على غيرهم من الإغريق مثلًا. يقول " عوض" كاشفًا عن وعيه:

"إن "جب" للأسف الشديد، يلقي بكلامه، وكأنه لا يعرف أين يقع، وإن كـان فى واقـع الأمـر يقصـده قصـدًا، كي يـزرع فى أوهـام القـراء أن المسلمين لا يستطيعون أن يفكـروا ولا أن يبـدعوا دون سـنادٍ من الثقافـة الهيلِّينية، وكأنهم فى أصل نشأتهم قد خُلقُوا من غير عقول!" [30].

إن وعي "عوض" بمعاودة المستشرقين شنشنتهم فى نزع كل فضيلة عن العرب وعزوها إلى الإغريـق، جعلـه يقظًـا لكـل محاولـة استشـراقية تغيّت النيـلَ من تـراث العـرب وتـاريخ المسـلمين .. كاشـفًا فى كـل مـرة تحيَّف فيها المستشرقون جانب الصواب- عُوارَ رأيهم ومدلِّلًا على الصواب الذي تبرزه حقائق الوقائع والتاريخ. يقول فى مفتتح نقداته لمـا رآه "جب" عن (العصر الفضي):

"لنلاحظ هنا عودة المستشرق البريطاني إلى شِنْشِنَتِه فى عزو كـل شيء إيجابي فى الفكر والأدب العـربي إلى التـأثير الإغـريقي، علاوة على زعمـه المضـحك أن الأدب العـربي منـذ أقـدم عصـوره كـان أدب خضـوع

---

30 (?) نفسه 139.

وتذلل. فأما نسبته كـلَّ شـيء نـافع فى تراثنـا إلى الفكـر الإغـريقي، فقـد رددنا عليه من قبل وبينَّا سخفه وتهافته وتفاهته، وما فيـه من خُبْثٍ رخيصٍ وسوء طوية. وأمـا أن الأدب العـربي كـان أدب خضـوع وتـذلل منـذ أقـدم عهوده، فلا أدري كيف واتت "جب" نفسَه لإصدار مثـل هـذا الحكم، ولـدينا الأدب الجاهلي والإسلامي والأموي، وهو يخلو بوجهٍ عام من تلـك النزعـة. بل لقد كان هناك طوال العصر العباسي نفسه أدباء معارضون للسـلطة لا يعرفون شيئًاعن تلك النزعـة الـتى يعمِّمُهـا "جب" على كـل أدبنـا فى كـل عصوره"[31].

ومن دون ريب فـإن وعي ثُلَّةٍ من علمـاء الأمـة بمقاصـد أعـدائها من المستشرقين وغيرهم، يمثل حائط صد منيعًا، وحصنًا يـأوي إليـه الراغبـون فى حمايـة هويـة الأمـة، ومقاومـة حركـة تزييـف ضـخمة تطـول الماضـي والحاضر، وتمسخ المستقبل!.

رابعاً: إثبات ما يتَّصِلُ بالذات

وابتداءً ينبغي التأكيد هنا على عدم تعارض إثبات ما يتصل بالذات مع الموضوعية ، سمة الدكتور "عوض" العضوية التى لا تفارقـه، فى مسـلكه اليومي أو منجزه العلمي .. فى كتابات "عوض" جميعها تقريبًـا، مـا يتصـل بمحور شفاهي رئيسي، تبدو معه كتاباته.. الموضـوعية الرصـينة.. مُشْـرَبَة بكثير من ملامح وُدِّ المؤلـف وأريحيـة لغتـه، كأنـه يحادثـك ، قبـل أن يكتب إليك، وربما كان لأثر الجاحظ فى أسلوب الدكتور "عوض" دخـلٌ فى هـذا، كما تبدو كتاباتهُ في بعض أحيان مؤرخة للذات، من طريق إثبات ما يتصل بحياته ومؤلفاته وما يحب ويفضل من كتاب العربية، وهذه كلُّها تفصـح عن مصادر ثقافته وآثـاره، ومن تـأثَّرهم وانتهج بعض منـاهجهم، بمـا يعين على تبيُّن منهجيته على نحوٍ أو آخر.

---

31 (?) نفسه 137، 138.

أما ما يتصل بسيرته الذاتية وفكره ، مما ورد فى دراسته لكتاب "جب" فأول ما يلقانا منها حديثه عن بعثته إلى إنجلترا للحصول على الدكتورية فى الآداب.. يقول فى أول السطور:

"حين انتهيتُ من مناقشة رسالتي الخاصة بالحصول على الدكتورية من جامعة أكسفورد فى أواخر يوليه 1982م كان عليَّ أن أعود إلى مكتبة الجامعة فى اليوم التالي لأقوم بالتصحيحات القليلة التى ارتأى المناقشان أن أجريها فى نصها، وهو ما حدث"[32].

وبالكتاب ما يشير إلى عمل "عوض" بالمملكة السعودية، فى كلية التربية بالطائف، تحديدًا، فى أوائل تسعينات القرن الماضي[33] وأنه قد أُسْنِدَ إليه تدريسُ مقررات بعينها؛ منها : المكتبة العربية، الأدب فى العصر المملوكي والعثماني.. والدكتور "عوض" لمن يعرفه، يهتبل كل فرصة لتدريس الجديد، والتأليف فيما لم يألف الكتابةَ فيه، وكأن بالرجل ميلًا جارفًا إلى الاكتشاف والتعرف بعينه هو.. لا بعيون الآخرين، إذ لا يسلم لا عقله ولا قلمه لغير نفسه، وكان من ثمار هذا الميل تنوع مجالات التأليف "العوضية"! يقول عن تدريسه للأدب المملوكي ، قليل المراجع، وبما يكشف عن شيء من مشاريعه العلمية المستقبلية التى لا يُعرف لبحرها ساحلٌ تنتهي إليه:"..ومن يرجع إلى الموسوعة العظيمة التى صنعها د. محمود رزق سليم لعصر المماليك وتياراته الفكرية والأدبية لشُده.. وقد اطَّلعت على هذه الموسوعة وقلَّبت فيها وقرأت عددًا غير قليل من فصولها منذ نحو خمس عشرة سنة، حين أسند إلي تدريس العصر المملوكي والعثماني فى كلية التربية بالطائف، فكان أن تغيرت نظرتي إلى ذلك العصر تغيرًا حادًّا، وذلك بفضل الدكتور "سليم" وكتابه العملاق الذى أدعو الله أن يقيِّضَ له من طلاب الدراسات العليا من يعكف عليه ويدرسه ويعطيه حقَّه من التقدير، أو يوسع لي فى العمر ويتيح لي من الفرصة ما يساعدني على القيام أنا نفسي بهذا الواجب"[34].

---

32 (?) نفسه 5.
33 (?) يراجع ذلك فى : مدخل إلى الأدب، 7، 152.
34 (?) مدخل إلى الأدب 152، 153.

إن أريحية "عوض" البادية في مؤلفاته، تقرنه بكبار أدبـاء العربيـة، وروَّاد التأليف الأدبي فى الحضارة الإسلامية، حين تبـدو ذواتهم متجلِّيـة، لا يشوبها كدر ادِّعاء العلم أو التعالم، هو كاتبٌ كما هو متحدث.. تتلبَّس ذاته- لا أقول ذاتيته .. المفرطة، أو المرضـية، حاشـا- بموضـوع مـا يكتبـه كطـه حسين، مع فارق الباعث أو الدافع!

يكشف الدكتور "عوض" عن وسوسةٍ إيجابية تعتريه ، تقرره ضمن ما تقرر تحريـه الحقيقـة، وسـعيه الـدائب لتحصـيلها ، والحـرص على الإتقـان والدقة والإحاطة بجوانب ما يدرسه ومراعاة عامل الوقت فى هذا الـوقت كله.. يقول : "لاحظتُ فى السنوات الأخيرة.. الـتى أصـبحتُ أتعامـل فيهـا مع الكاتوب والمشباك ، أنني كثير الوسوسة ومعاودة النظـر فى كتابـاتي حين أعيد نشرها في موقع جديد، بل وحتى دون أن أعيد نشرها، لا لشيء سوى أنها دائمًا تحت يدي جاهزة لأي تعديل أحبُّ أن أحدثه فيها، إذا جدت لي فكرة كانت غائبة عني عند تأليفها ابتداءً، أو قرأت شيئًا فيما بعد يمكن أن أعضِّدَ به رأيي أو ما إلى هذا"[35].

إن "عوض" لا يفوِّت فرصة متاحة ، يكشف فيـه عن ولائـه لأمتـه إلا اهتبلها، غير هيَّاب سـطوة المتغـربين، ولا همهمـات المنتفعين، يعلـق على أبيات "ابن مليك الحموي" فى مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فيقول مثبتًا تطاول من أجرم فى مقام النبي (صلى الله عليه وسلم) فى عصـرنا الراهن.. الواهن : "قد جـاءت هـذه الأبيـات في زمنهـا تمامًـا؛ إذ كـثر الآن المجرمـون المتطـاولون على مقـام سـيد النبـيين وتبـاذؤوا فى حقـه الشريف .. يقول ابن مليك :

يـا رب عفـوًا، فـإنِّي خـائفٌ وَجِـلُ ... وليس لي صالحٌ يُـرْجَى ولا عَمَـلُ
وجئتُ بابكَ يا مولايَ مفتقرًا ... إلى غناك، وقد ضـاقت بيَ الحيـلُ
.. يا سيدَ الرُّسْلِ سوءُ الحظ أخَّرني ... وعاقني المُقْعِـدان: العجـزُ

---

35 (?) مدخل إلى الأدب 43 .

فليت شعري هل فى العمـر والكسل
يـــــــــــــــــــــــؤذَنُ لي بِـــزَوْرَةٍ قبـــل أن يغتـــالني الأجل[36]

والدكتور "عوض" هنا يكتب نفسه، ويثبت من شعر "الحمـوي" مـا يكشف عن ذاته هو، وموقفه تجاه حدثٍ معاصر.

ويسـهل على المطـالع لتـآليف "عـوض" أن يتـبين موقفـه الفكـري المستقيم، غير الممالئ، أو المُداهِن، بل الفكـر الأصـيل المنتمي المنحـاز، الواعي لمخططـات الآخـر تجـاه الأُمَّة، والـراغب فى تفعيـل المؤسسـات لخدمة ثقافة الأمة ولغتها وأدبها... يقـول عن هويـة الأمـة ومحـدداتها دون إفراط يمليه التخصصُ النوعي، أو تفريط، يحركه غيابُ الرؤيـة الشـاملة : "معروفٌ أن الدين والثقافة واللغة هى أهم العوامـل فى تحديـد هويـة أمَّة ما، بل إن من العلماء من يكاد يجعل اللغـة وحـدها هي الفيصـل فى ذلـك التحديد، ومنهم من علمائنا الدكتور إبـراهيم أنيس، حسـبما هـو واضـح فى كتابه "اللغة بين القومية والعالمية" وإن كنا لا نوافق على هـذا، بـل نقـول إن اللغة هى أحد العوامل الشديدة الأهمية في تكـوين الأمم والشـعوب لا كلها"[37].

ويقول عن بواعث تأسيس "الجامعة العربية":

"للسياسة من وراء إنشـاء تلـك الجامعـة أهـدافها الـتى قـد تختلـف وتطلعات الشعوب، إلأ أن الغلبة للشعوب فى نهاية المطاف ، أو هذا على الأقل ما نأمله وننتظر تحققه عاجلًا أو آجلًا"[38].

وتلقانا فى تضاعيف كتاب الدكتور "عوض" (مدخل إلى الأدب العربي لهاملتون جب قراءة نقدية) تآليفـه وكتاباتـه، من أولى الصـفحات، وحـتى

---

36 (?) نفسه 155، 156.
37 (?) نفسه 16.
38 (?) نفسه 18.

خاتمة الكتاب، الذي يحوي دون افتعال مناسبة لذكر المؤلفات "العوضـية" ما يلي من كتب الدكتور إبراهيم عوض:

(1) المستشرقون والقرآن.
(2) من ذخائر المكتبة العربية.
(3) دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية : أضاليل وأباطيل.
(4) فصول من الثقافة العربية قبل الإسلام.
(5) المرايا المشوِّهة – دراسة حول الشعر العربي فى ضوء الاتجاهات النقدية الجديدة.
(6) دراسات فى المسرح.
(7) شعراء عباسيون.
(8) فصول من النقد القصصي[39].

وفى أسلوب "عوض" من أسلوب "الجاحظ" ما يكشف عن تقديره له، وإعجابه بشخصيته وأسلوبه، وربما كـان الاسـتطراد ، وتـدافعُ المعلومـات، وتدفُّقها على ذهن " عوض" وقلمـه، أبـرز الملامح الجاحظيـة فى أسـلوب "عوض" ، إذ يستدعي إلي الموضع مـا يتصـل بـه من محفوظـه الشـعري، ذاك ما كان بـالمفتتح ، إذ يقـول عن كتـاب "جب" : "كـانت مراجعـتي لـه وملاحظـاتي عليـه دافعًـا لي إلى النظـر فى كثـير من كتب تـاريخ الأدب العربي وكنوز التراث القديم التي أمتعتني وأفـادتني ووفَّرت لي جـوًّا هنيئًا طوال انشغالي بالكتاب، ثم انتهى هذا كله سريعًا :

كأنْ لم يكن بين الحجونِ إلى الصَّفَا أنيسٌ، ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ" [40]

و"عوض" يعلن بجلاء عن إعجابه بالجاحظ حال عرضه، لمسألة أولية الشعر العربي، واندهاش"جب" من ظهور الشعر الجاهلي فجأة فى صورة كاملة ، وأنه يقتفي فى ذلك أثر قـدامى العـرب ، ومنهم الجاحـظ، فيقـول

39 (?) يراجع فى ذكر الدكتور "إبراهيم عوض" لهذه المؤلفات التى ألفها: مدخل إلى الأدب فى الصفحات : 5، 7، 7، 41، 44، 85، 105، 116 على الترتيب. وقد ذكر مرة أخرى كتابه : "فصول من الثقافة العربية قبل الإسلام" بصفحة 185 بالخاتمة.

40 (?) مدخل إلى الأدب 8.

متسـائلًا.. ومراجعًـا لـرأي الـرجلين ومن تقيَّل قوليهمـا : ".. الواقـع أن الجاحظ ، مع احترامي الشديد لـه وإعجـابي المبـالغ بـه وبفكـره وأسـلوبه وشخصيته كلها، لم يقدم دليلًا على هذا الذي قـال، إذ كيـف يمكن الاقتنـاع بأن الذي مهَّد السبيل للشعر هو امـرؤ القيس والمهلهـل بمـا يعـني أنهمـا أول من قال الشعر من العرب، وأن شعرهما من ثمَّ يتَّسم بمـا يتسـم بـه أول كل شيء من البدائية وقلـة الفن والسـذاجة بالنسـبة لمـا جـاء بعـده، على حين أن ما خلفه لنا الملك الضلِّيل من شعر سواء من ناحية المقـدار أو من ناحية القيمة الفنيـة حـتى لقـد جعلـوه أمـيرًا للشـعراء الجـاهليين ، يكذب ذلك تكذيبًا شديدًا"[41].

وخلاصة ما تقدم أن الدكتور " إبراهيم عوض" فى نقداتـه ومراجعاتـه كتابـاتِ الاستشـراق ، وعلى نحـو مـا بـدا في مراجعتـه لهـاملتون جب، منصفٌ، يتحرَّى الحقيقة، وينحاز إلى الحق، لا ترهقة لأواءُ الطريـق اللاحب نحـوه، كمـا أنـه لا يصـادر بإبـداء الـرأي، فمـا يعلنـه إلا بعـد تحـرٍّ وتمحيص وفحص مطـوَّل، وقـد تقـرر وعيٌّ "عـوض" بمقاصـد الاستشـراق، وتـبيَّنت مماثلـة "عـوض" للجاحـظ فى اسـتطراده، ومـا بـدا من ملامح شـفاهية بتآليفه، كما بدا أن إثبات ما يتصل بالذات أحد مفردات منهجيته التأليفيـة ، ولذلك أهميته التى ستتعاظم بمرور الزمن، وتهنيج ذاكرة القوم!

41 (?) نفسه 34 .

المبحث الثاني

منهج الدكتور "إبراهيم عوض" فى الرد على المستشرقين

الدكتور "إبراهيم عوض" من أنصار المنهج التكاملي فى مقاربـة الأدب، يعلن ذلك صراحة فى مفتتح كتابه "مناهج النقد العربي الحديث" فيقـول : "إنني من أنصار ما يسمونه " المنهج التكاملي" وهو المنهج الذي لا يحصر اهتمامه فى جانب واحـد من جـوانب الإبـداع الأدبي، ومن ثَمَّ فهـو لا يتعبَّدُ لمنهج فردٍ من المناهج النقدية ، بل يستصحبها جميعاً معه، ويفيـد من كـلٍّ منها، حسبما يلي عليه العمـل الـذي يتناولـه بالنقـد، ولا يـرى أن شـيئًا من المناهج الجديدة يمكن أن ينسخ ما قبله"[42].

وهو يكشف عن مبرِّرِ إيمانه بتكاملية المنهج ، بـــ " أن النص الأدبي لا يكفي لفهمه وتذوقه وسبر أغواره منهجٌ نقدي واحد، بل لابد من الاسـتعانة عند مواجهته، بكل ما من شأنه أن يقرِّبنا منه، ويكشف لنا أسراره ، وعلى هذا فإن لكـل منهج من المنـاهج النقديـة دوره الـذي لا يسـتطيع غـيره أن ينهض به"[43].

ومن الحق أن "عوض" أحسن صنعًا ، حين اعتمد المنهج التكاملي سبيلًا إلى مقاربة الأدب، وهو عين المنهج الذي ترسَّم خطاه، وتبنَّى أكثرَ ملامحه فى الردِّ على المستشـرقين، ذلـك أنـه طـوَّف بمجـالات عـدة؛ فى الفكـر والثقافة والدراسات القرآنيـة ، والتاريخيـة فى الـردِّ عليهم، وهي مجـالات بتنوعها يتأبَّى بعضها على وحدة المنهج، فما يصلح لمقاربة أحـدها لا يصـلح للأخريات .. وفى ظـني، فـإن المنهج التكـاملي أقـرب – شـريطة تطـويره دومًـا، باسـتفادته من كـلِّ جديـدٍ منهجي – إلى أعمـال الـدكتور " عـوض" وأمثاله ، ممن تتشعب مجالات اهتماماتهم، وجهودهم.

---

[42] (?) مناهج النقد العـربي الحـديث، إبـراهيم عـوض، ص 6 ، مكتبـة زهـراء الشـرق بالقاهرة، 2003.

[43] (?) نفسه 5.

وفى ردود "عوض" على المستشرقين، عناية باللفظ المفرد[44] ابتداء، ومراعاة لمنهج المستشرقين الكلي العام فى تآليفه، مرورًا بتفاصيل كلِّ جزئية أو مبحثٍ أو فصل، وهى الطريقة التى يفضلها "عوض" فى الردِّ عليهم، إذ يعرض لكل فصل بعد إجمالي الرأي فيه.

وقد تمحور منهج الدكتور "عوض" فى الرد على المستشرقين ، وفق ما تبدَّى للباحث، فى دراسته النقدية لكتاب "جب" (مدخل الى الأدب العربي) فى آليات ست ، هي :

(1) السرد الشائق، والمراوحة بين الإجمال والتفصيل.
(2) الإتقان والدقة فى إصدار الرأي.
(3) بيان الخطأ ودحضه بكل وسيلة.
(4) الاحتشاد الكامل فى الرد على الشبهات.
(5) الكشف عن مقاصد الاستشراق.
(6) الاستطراد.

أولا: السرد الشائق، والمراوحة بين الإجمال والتفصيل

لا يسأم قارئ كتابات الدكتور "عوض"، ولا يملُّ متابعته، ففي كتاباته شيءٌ من سردٍ مستملَحٍ ، يدفع الملالة ويؤنس المتلقي، فكأنما يحادثه "عوض".. هو يُعنى ابتداء ببيان الكليات مجملة، ثم يتوسع بتناول التفاصيل مع كل خطوة يخطوها للأمام، وينوع ما بين الجد والسخرية، ومع "جب" وكتابه ، فإن "عوض" ابتدأ أولًا بعرض الكتاب إجمالًا بالحديث عن فصوله، وحجمه، ثم بالترجمة للمستشرق، مثبتًا منهجه هو والزاوية التى من خلالها سينظر كتاب "جب". عرض "عوض" لكتاب "جب" إجمالًا فقال :

"قسّم "جب" كتابه إلى خمسة فصول ، غير المدخل ، الذي عرض فيه للكلام عن اللغة العربية، وكذلك الخاتمة، التى خصصها للإشارة السريعة إلى الجديد من وجهة نظره فى أدبنا الحديث. وتتابعت الفصول الخمسة

---

44 (?) على نحو ما مضى بالمبحث الأول من تخطئة "جب" فى الفسطاط بنص المقدسي إلى القاهرة، وما تأسَّس على ذلك من خطل حكمه.

على النحو التالي : العصر البطولي، وهو عصر ما قبـل الإسـلام، ثم عصـر التوسع، ويقصد به صدر الإسـلام وعصـر بـني أميـة ، ثم العصـر الـذهبي ، والمـراد العصـر العباسـي الأول، ثم العصـر الفضـي، أي العصـر العباسـي الثـاني، وأخـيرًا عصـر المماليـك ، الـذي أضـاف إليـه "جب" فى صـفحاته الأخيرة كلمة سريعة عن العصر العثماني أيضًـا. أمـا العصـر الحيـدث فقـد ألم به فى كلمة أخرى سريعة فى الخاتمة"[45]. ويكشف عن ملاحظ عامـة بكتاب (جب) " ذلك أنه طوال العصـرين الإسـلامي والأمـوي لم يستشـهد بأي شعر على الإطلاق، اللهم إلا أبياتًا قليلة لعمر بن أبي ربيعة ليست مـع ذلك من أحسن شعره، كما كان يلقى أحيانًـا بـالحكم الجـزافي مُهَوِّنًـا من شأن عصر بكامله مثلًا، رغم ما كان يتلألأ فى سماء ذلك العصر من نجــوم أدبية وفكرية ساطعة. ثم يزيد الطين بِلَّةً ، أنه يعود بعـد هـذا فيمجِّدُ عـددًا غير قليل من أعلام ذلك العصر ذاته، وإبداعاتهم متناسـيًا مـا كـان أصـدره بشأنه من حكم تهويني"[46].

ويستكمل مؤاخذاته المنهجية على "جب" فى كتابه ، بقوله :

"إن صغر حجم الكتاب جعـل مؤلفـه لاهثًـا على الـدوام ، وليس لديـه وقت للتريث أمام كثير جدًّا من كنوز أدبنا، ولو لحظة، مكتفيًـا فى الغالبيـة الساحقة من الحالات بالخطوط الكبيرة جدًّا أو بكلمة هنا أو هناك"[47].

وينقل عن الموسوعة المشباكية الإنجليزية " الويكبيديا" ترجمة "جب" بنصيها العـربي ثم الإنجلـيزي[48]. ويعلن الـدكتور "عـوض" عن عملـه فى الدراسة ، فيقول :

"دوري في هذه الدراسة الحالية هو الوقوف أمام ما لا أتَّفِقُ معـه من آراء المؤلف، أو ما أجد أنه بحاجة إلى استدراكٍ أو إضافة أو عرض لوجهـة

---

45 (?) مدخل إلى الأدب 9، 10.
46 (?) نفسه 9.
47 (?) نفسه، الصفحة ذاتها.
48 (?) يراجع فى ذلك، مدخل إلى الأدب من ص 10 : 13.

نظر أخرى، أو تنبيهٍ إلى ما فيه من تقصير، مع مناقشة المؤلف دائمًا فيما يقول"[49].

وقد راوح الدكتور "عوض" فى عرض آرائه بين الجدِّ وهو الأكثر جدًّا، وبين السخرية التي لا تنساها حتى تلقاك مجددًا بالدراسة.. يعقِّبُ على ترجمة "جب" لأبيات "بشار" كأن مثار النقع فوق رؤوسنا .. بقوله ساخرًا : " وهى كما يرى القارئ بنفسه، ترجمة مضحكة لا تمتُّ إلى الأصل بشيء إلا كما تمت رؤية الأعشى القصير النظر إلى حقيقة الشيء المرئي، إذ تحوَّل معنى كلام بشار فيها إلى الآتي: "كأنّ تراب المعارك قد حطَّ فوق رؤوسهم ، وكأن أسيافنا ليل تشق الهاوية كواكبه". الله أكبر! فهكذا ينبغي أن يكون الفهم والذوق، وإلا فلا. وهذا هو مستوى العلم عند ذلك المستشرق الذي لم يرضَ بشيء دون كتابة تاريخ الأدب العربي منذ أقدم عصوره حتى العصر الحديث ، وإصدار الأحكام التاريخية والنقدية على ذلك الأدب وأعلامه وتياراته وإبداعاته بمنتهى الثقة والإعجاب بالذات"[50].

ويدحض "عوض" فرية "جب" بشأن أثر "الهيلينية" على الفكر العربي الإسلامي، حين شبهها ، وشبه ترويج "جب" لها بمسلك شعبي ، يتصل بمناداة بائع "اللبان الدَّكَر" فى الحافلات يومًا ما حين كانوا " ينادون عليه مستعرضين منافعه التي لا تُحْصَى بدءًا من جلاء الصدور ، وانتهاءً ببرم الكعوب، مرورًا بتطهير الفم وطرد البلغم والتخلص من الديدان وكذلك تحمير الخدود"[51]، ثم يتحدث عن تفطُّنِ علماء الإسلام واتِّكاءً على منهجية الإسلام لا غيره إلى أهمية التأمل، وإعمال العقل في كل شيء، والسعي المتجرد بكل قوة في جميع ميادين المعرفة، ومنهم المسعودي".. وذلك بسخرية "عوض" خرقة الهيلينية ، حين يقول:

"لم يكن المسعودي بدعاً بينهم حتى يفزع "جب" ، فى تفسيره للاهتمامات المعرفية لدى ذلك العالم الجليل إلى خرقة " الهيلينية" التي

---

49 (?) مدخل إلى الأدب 10.
50 (?) نفسه 94.
51 (?) نفسه 98.

يُخرجها لنـا من كُمِّهِ ويحركهـا أمـام وجوهنـا كـلَّ حين، فهـذا هـو ذاك دون حذلقات استشراقية ودعايات هيلينية راسخة"[52].

ثانياً: الإتقان والدقة فى إصدار الرأي

يبدو "عوض" فى أحكامه الأدبيـة والنقديـة ، وخاصـة فى تمحيص رأي الآخرين، كالقاضي الذي يتحرَّى ما وسـعَهُ التحـري دقـةَ الحكم، ونزاهتـه ، وإنصافه، وعدله، كما يبدو فقيهًا عالمًا يتحرَّج من التجـرؤ على الفتيـا بغـير بينة وتَرَوٍّ.

لقد عرض الدكتور "عوض" لعديد من القضايا التي تصدَّى لها "جب" فى كتابه، بلغت هذه القضـايا أربـع عشـرة قضـية أو شـبهة ، أكثرهـا جـاء بمدخل "جب" والفصل الثاني، وهي على النحو التالي :

- القضـــية الأولى: الأدب العـــربي، أدب حضـــارة، وليس أدب شعب — "فى المدخل" — ص15
- القضية الثانية: قلة النسـبة الـتى يمثلهـا العـرب الخُلَّص بين مبدعي الأدب العربي . — "فى المدخل" — ص23
- القضية الثالثة: فقر العربية من المجردات. — "فى المدخل" — ص25
- القضـية الرابعـة: تتعلـق بالمرونـة الزمنيـة للغـة العربيـة، وافتقارهـا إلى مـا تتمتـع بـه الإنجليزيـة مثلاً من ثراء فى هذا المجال . — "فى المدخل" — ص27
- القضـية الخامسـة: الإيجـاز فى الشـعر العـربي القديم، خاصة فيما يتصل بإنتاج الصورة . — "فى المدخل" — ص29
- القضية السادسـة: تتصـل بموضـوعات القصـيدة — "الفصـــــل — ص

[52] (?) نفسه، الصفحة ذاتها. وأحيانًا ، يتحِفُ "عوض" قارئه بين الفينة والأخرى بلفظة غريبة راقية، تجذب اهتمامه ، وتوقظ ذهنه، ومن توفيقٍ، استدعاؤه لفظة (هجيرى) بموضع مناسب تماما، يتصل بتكلف الشعراء أنواع البديع، إذ يقول:
"إن البديع قد دخله فيمـا بعـد، الإسـراف والتكلـف حين اختفت الموهبـة لـدى كثـيرمن الشـعراء فى العصـور المتـأخرة، ودعـك من العبقريـة، وأصـبح هجـيرى الشـعراء اصطياد هذه المحسنة أوتلك دون أن يلتفت إلى شيء آخـر فى القصـيدة تقريبـاً"، مدخل إلى الأدب 91.

العربية، إذ يحصرها "جب" فى الفخر والهجاء والمدح، وأنها تبدأ بالنسيب أو الوقوف على الأطلال.	"الفصل الأول"	ص 38
- القضية السابعة: تتصل برأي "جب" فى النحل والانتحال .	"الفصل الأول"	ص 41
- القضية الثامنة: تتصل بجوهر الدعوة الإسلامية .	"الفصل الثاني"	ص 49
- القضية التاسعة: شبهة"جب" فى أن القرآن من عند محمد (صلى الله عليه وسلم) .	"الفصل الثاني"	ص53
- القضية العاشرة: تتصل بالإسلام والشعر .	"الفصل الثاني"	ص55
- القضية الحادية عشر: تتصل بأن النثر نتاج عباسي !! .	"الفصل الثالث"	ص77
- القضية الثانية عشر: أثر الهيلينية فى العالم الإسلامي .	"الفصل الثالث"	ص79
- القضية الثالثة عشر: عزو كل شيء إيجابي عربي إلى التأثير الإغريقي .	"الفصل الرابع"	ص 137
- القضية الرابعة عشر: انحطاط الدراسات الأدبية فى العصر المملوكي .	"الفصل الخامس"	ص 149

وقد استوفى رد الدكتور "عوض" على هذه القضايا والشبهات مائة وستًا وثمانين صفحة كاملة، أي ما يزيد على صفحات الكتاب الأجنبي، الذي لم تتجاوز صفحاته المائة واثنتين وثمانين صفحة من الحجم ذاته.

حصر الدكتور "عوض" مجال دراسته النقدية لكتاب "جب" فيما خالفه فيه، أو رآه فى حاجة الى مزيد بيانٍ من تنبيه على خطأ أو نقص وما إلى ذلك، وقد التزم "عوض" أخلاق الإسلام المتسامحة فى غير ضعف أو ممالأة فى ردِّه على آراء المستشرق، وقد نوع فى مصطلحات حكمه تنويعًا كبيرًا، يكشف عن دقةٍ ونزاهة وتجرد، فقد لا ينتهي "عوض" إلى

إبداء رأي لعدم توافر الأدلة .. وقد يكتفي بإعلان المخالفـة أو أنـه يحسُـنُ التريُّثُ فى هذه المسألة، أو أن الأمر يحتاج الى مراجعة ، وربما أعلن فى وضوح عدم موافقته "جب" الرأي أو أن "جب" جانبه التوفيق، وأحيانًـا مـا يرجِّح رأيًا في مسألة، تشعبت الآراءُ فيها.. ونادرًا جدًا مـا يقسـو فى إعلان حكمه.

فــ "عوض" كغـيره من المنصـفين الـذين يتحـرون الدقـة، وقليـلٌ مـا هم، يتوقــف عن إبــداء رأي أو الانحيــاز إلى إحــدى الآراء الفطـيرة المتوارثـة بالشأن المدروس .. الشائك .. القليلةِ معلوماته المتاحة، وقد يكـون إعلان عدم الموافقة ، يقول عن أدب العصر المملوكي : " إننـا لا نقـول إن أدب العصر المملوكي هو أفضل عصور الأدب العربي، لكننا فى ذات الــوقت لا نوافق من يرون ذلك العصر عصر انحطاطٍ فكري وأدبي"[53].

وقــد يخطِّئ "عـوض" (جب) بوضـوحٍ، مشـيدًا بـرأي المستشـرق فى الموضـع ذاتـه فى مسـألة أخـرى متصـلة، كقولـه : "إن جب لم يحالفـه التوفيق فيما رمى به اللغة العربية من ضيق الأفـق فى سـاحة المجـردات والروحانيات، وإنـه قـد ألقى الكلام هنـا على عواهنـه رغم مـا أصـاب فيـه الحق من الإشادة بمزايا تلك اللغة العبقرية العجيبة"[54].

وربما رجح دون لبس رأيًـا من آراءَ فى المسـألة ، كمـا الحـال بشـأن مدحة الأعشى للنبي (صلى الله عليه وسلم) [55] ، وقد يقسوا نـادرًا فى إبـداء رأيه، حين يقول : ".. لا أساس لصحة ما قاله المستشـرق البريطـاني من أن الشاعر العباسي المعروف بــ " أبي العتاهية" هو أستاذ الشعر الــديني فى الأدب العربي"[56].

إن "عوض" كالقاضي فى أحكامه ، لا تتناسخ بشأن القضايا المختلفة ، فى بواعثها، واعترافات مرتكبيهـا ، ومن ثم تعـددت مصـطلحاته الحكميـة، كل بمـا يناسـب الحالـة المصـاحبة، وبـدا متسـامحًا لا على حسـاب الحـق

[53] (?) مدخل إلى الأدب 35.
[54] (?) نفسه 27.
[55] (?) نفسه 131، 132.
[56] (?) نفسه 110.

والحقيقة، فلهمـا وحـدهما ولاؤه ، ولضـديهما خلص بـراؤه ، فللـه دره فى دقته ونبله.

ثالثاً: بيان الخطأ ودحضه بكل وسيلة

يعتمد "عوض" وفق منهجـه التكـاملي ، وموسـوعية ثقافتـه، فى دحض بعض شبهات وأخطاء كتاب "جب" على كل وسيلة عقلية أو نقلية، بإقامة الحجة وضرب المثال، أو بالاستناد إلى أقوال السابقين الثابتـة المتـواترة.. وقد يعمـد لتبديـد رأي المستشـرق من داخلـه بـإبراز تناقضـاته من كلامـه هو .. إنه يدحض الفرية بكل وسيلة منطقية أو تاريخية أو واقعيـة.. وكثـيرًا ما كان يجمع بين أكثر من دليل متنوع فى الرد على المسألة الواحدة، مـع رده على ادعـاء جب فقـر العربيـة .. فى مجـال المجـردات والروحانيـات يجمـع إلى وقـائع التـاريخ، بحيث يـرد على رمي "جب" اتهامـه إلى لغتـه وأسرتها.. يقول "عـوض" : "إذا كـانت اللغـة العربيـة تغلب عليهـا الصـبغة المادية ، فكيف يا تُرَى استطاعت أن تنهض بحاجات الدين الجديد منذ أول لحظة وتكون كفؤاً لمتطلبات الـوحي بحيث لم تعجـز عن تأديـة أي شـيء مما جاء به القرآن الكـريم والحـديث الشـريف على عمـق ثرائـه الـروحي والفكري"[57]. ثم يقول :

" إن القرآن لم يجمجم فى شيء مما جاء به، ولا اتكأ على مصدر لغوي آخر"[58].

ثم يُعْلِي من وتـيرة ونصـاعة حجَّتـه البيِّنـة ، فـيرد الاتهـام على لغـة المستشرق بحق، فيقول كبداية العصر الجاهلي ، وأولانية الشـعر العـربي تحديداً، يقول "عوض" : " أما إلى أيٍّ مدىً يمتد هـذا الـزمن فى الماضـي بالضبط، فعلمه عند اللـه، إذ لم يسـتطع حـتى الآن أيُّ بـاحث الإتيـان بمـا يشفي ويكفي فى هذا السبيل"[59].

---

57 (?) نفسه 178.

58 (?) نفسه 27.

59 (?) يراجع فى ذلك : مدخل إلى الأدب 58.

والحق أن المسألة شائكة، تحتاج للحسم بصددها، إلى تعاون الآثاريين، والحفريين وعلماء الأنثروبولوجيا وأصول اللغات والتاريخ ومــؤرخي الأدب، بانتظـار ظهـور أدلـة ماديـة موثقـة تلأم فجـوة المعلومـات المتاحـة، وهى مســألة أصــعب بكثــير فى تحديــد ميلاد أحــد القُــدَامى من المفكــرين والفلاسفة أو الأدباء.. والمسألتان قريبتـا الشـبه بالنسـبة للبدايـة وصـعوبة تحديدها ، وبالنسـبة لسـهولة ضـبط النهايـات أيضًـا، على خلاف فى مـدى الصعوبة الأشد بصالح العصر لا الفرد.

وقد يكتفي "عوض" بإعلان مخالفته "جب" ذلك ما كان بشأن مسـألة نقصان المرونة الزمنية باللغة العربية؛ إذ يقول : " ... ونقطة رابعة نخالف فيها "جب"، وهى قوله إن تراكيب اللغة، مثلها فى ذلـك مثـل كـل اللغـات السـامية، تنقصـها المرونـة الزمنيـة الموجـودة فى اللغـات الهندوأوربيـة الناشئة من تعدد صيغ الأزمنـة فى تلـك اللغـات ، بخلاف لغـة الضـاد الـتي يؤكد مستشرقنا الهُمـام أنهـا لا تعـرف إلا صـيغتين زمنيـتين فقـط لا غـير، وهما الزمن الماضي والزمن الحاضر"[60].

وقد يبلغ التسامح والرقة فى إبداء الرأي ، مدىً لا يتفق وبشاعة ما أعلنــه المستشرق "جب" على نحو رأيه في موضوع الموشـحات، وأنـه لا يكـون إلا في الغزل أو الزهد.. ! يكتفي "عوض" إزاء هـذا الـرأي بقولـه "يحسـن التريث.. قليلًا إزاءه.. يقول "عـوض" : "شـيء آخـر قالـه "جب" ويحسـن التريث قليلًا إزاءه، إذ يرى أنه من النادر جدًّا وجود موشحة فى غير الغزل أولًا ثم فى الزهــد ثانيــاً (ص110) بيــد أن للواقــع قــولًا آخــر، وهــو أن الموشحات قد خاضت فيما خاضت فيه القصائد من موضوعات وأغراض ، قال "ابن سناء الملك" : والموشحات يعمل فيها ما يعمل فى أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجاء والمجون والزهد.. وهذا هو د. مصطفى الشكعة يخصص فى كتابه.. " الأدب الأندلسـي" فصـلًا كـاملًا فى موضـوع

---

60 (?) مدخل إلى الأدب 96. يضاف إلى هاتيك الشواهد على دقـة رأي "عـوض" أنـه حريص دوماً على ضبط الأعلام. ومن ذلك ضبطه لما ورد منها بقوله:
"وبالنسبة للشعر فلدينا فى تلك الفترة أيضًا شـعراء بـارعون مثـل .. الأبِيـوَرْدِي.. وابن القَيْسَــرَانِي.. والطلائــع بن رُزَّيْــك.. وأبــو الُيُمْن الكِنــدي.. وشــهاب الــدين بن التّلْعَفْرِي" ، يراجع فى ذلك : مدخل إلى الأدب 139/140.

الموشحات .. ذكر فيـه أن ذلـك الفن الشـعري بعـد أن كـان مقصـورًا فى البداية على الغزل والخمر، قد اتسعت منادحه وأصبح الشعراء يستعملونه فى كل أغراض الشعر من مديح وتهنئة ووصـف لمجـالي الطبيعـة وجمـال المدن وصيد وقنص وزهد وهجاء ورثاء"[61].

و"يحتاج إلى مراجعة" تعبيرٌ استخدمه "عوض" فى إبداء رأيه تعقيبًـا على مــا ذهب إليــه "جب" فى مســألة تــأليف الشــعراء لكتب فى فن الشعر.. يقول : "ومما قاله (جب) فى كتابه ويحتـاج كـذلك إلى مراجعـة ، زعمه أن ابن المعتز (ت 296هـ) هو الشاعر الأول ، وربمـا الوحيـد أيضـاً، الذى ألَّف كتابًا فى فن الشعر (ص86)" [62].

" ومعروف أن التقارض بين اللغات ظاهرة طبيعية جدًّا، تخضع لها جميع الألسنة قديمًا وحديثًا، بل إن دين اللغـة العربيـة فى عنـق كثـير من لغـات العالم بما فيها اللغات الأوربية ذاتها لهو دينٌ كبيرٌ لا يكاد يضـاهى فى كثـير من الأحيان كمًّا وكيفًا، فضلًا عن توارى عدد غير قليل من لغـات الشـعوب المتحضرة أمام بهاء لغة القرآن، كما هو الحال فى اللغة المصـرية ولغـات العراق والشام وشمال إفريقيا والسودان، وكـذلك لغـة بلاد الفـرس لعـدة قرون قبل أن تعود إلى الظهور مرة أخرى، لكن بعد أن أثرت ثراءً عظيمًا بمــا اقترضــته من لســان الضــاد من ألفــاظ وتعبــيرات وأفكــار وأنســاق أدبية"[63].

أما بشأن ادِّعاء "جب" إيجاز العربية – يقصد عجزها- فى التعبير وخاصة بالصورة ، فـيرد "عـوض" بادئًا بالحـديث عن الأمثـال وطـول عباراتهـا فى الجاهلية ، ثم بالحديث عن استفاضة الشعر الجاهلي فى تناول موضوعات القصيدة فى مقدمتها وصـلبها وخاتمتهـا، متخـذًا من معلقـة امـرئ القيس نموذجًا استرشـاديًا مضـيئًا.. ثم يقيم الحجـة المنطقيـة على تهـاوي ادعـاء "جب" فيقــول : " لــو أن كلام "جب" صـحيح لكــانت القصــيدة الجاهليــة

---

61 (?) مدخل إلى الأدب 25.
62 (?) نفسه 26.
63 (?) نفسه 26، 27.

تحتوي على عشرات الموضـوعات ، أو كـانت لا تزيـد على ثلاثـة أبيـات أو أربعة بعدد موضوعاتها، وهذا بطبيعة الحال ، منافٍ للواقع"[64].

ومن ثنايا كلام "جب" يستخرج "عوض" ما ينقض ادعاء المستشرق .. مع مسألة تحامـل المستشـرقين على البـديع فى الشـعر العـربي.. يقـول "عـوض" عن جب : " إنـه لأعجمي ، لا يسـتطيع في كثـير من الأحيـان أن يصدر حكمًا سليمًا في مجال النقد الأدبي على روائع تراثنا، وكان أحرى به أن يسكت ما دام قد حُرم السداد، ورحم الله امرأ عرف قـدره ! والعجب أنه يعود بعد نحو ثلاثين صفحة فيستشـهد بمـا قالـه "نيكلسـون" في مـدح شعر أبي العلاء المعري فى "لزومياته" والإعجاب به، والقول بخلوده رغم ما يوشي ذلك الشعر من محسنات كثيرة باعترافهما (ص92-93)" [65].

رابعاً: الاحتشاد الكامل فى الرد على الشبهات

يحتشد"عوض" بكل طاقة ممكنة للكشف عن الحقيقة والـتي تخفى على المستشرق ، لعجلته أو صغر حجم كتابه، أو لأشياء أخرى .. إذ يشـير فى حين إلى نقص، فات المستشرق التنبُّهَ إليـه ، ولـو تهيـأت لـه معرفتـه وإلمام به، لجاء رأيه أقـرب إلى الحقيقـة، وأرضـى للتـاريخ، وأبـرأ للذمـة، لكن "جب" لم يفعل، ومن ثم ينبِّه "عوض" على فات المستشـرق، ، كمـا الحال فى نقص مراجعه الخاصة بالعصـر العثمـاني، الـذي لم يخصـص لـه سوى صفحتين اثنتين لا غير فى ختام كلامه عن العصر المملـوكي ، يثبت "عـوض" مـا فـات "جب" من مراجـع عديـدة.. يقـول "عـوض" عن جب : "لكنه فاته ذكر المقَّري التلمساني مؤلـف نفح الطيب.. ويوسـف البـديعي كـاتب الـتراجم الشـهيرة عن أبي تمـام والمتنـبي وأبي العلاء المعـري، والتهانوي واضع "كشاف اصطلاحات النون" والشهاب الخفـاجي المصـري مؤلف "شفاء الغليل فيما فى كلام العـرب من الـدخل والنـادر والحوشـي القليل".

---

64 (?) نفسه 31 .

65 (?) نفسه 92.

و" شرح درة الغواص فى أوهام الخواص" و " ريحانة الألبا وزهـرة الحيـاة الـدنيا" و عبـد القـادر البغـدادي صـاحب "خزانـة الأدب ولب لبـاب لسـان العرب".. والبهاء العاملي صاحب "الكشكول" والمحـبي الحمـوي صـاحب "خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادي عشر" و " مقصد السبيل فى اللغـة العربية من الدخيل" و " نفحة الريحانة ورشـحة طلاء الحانـة" والشـوكاني الفقيه والمفسر والمحـدث .. صـاحب " فتح القـدير" و "نيـل الأمطـار" .. وكذلك بدر الدين الغزي صـاحب الرحلـة المسـماة "المطـالع البدريـة فى المنازل الرومية" و "آداب المؤاكلة" و " الزبدة فى شرح الـبردة" وغيرهـا من الكتب التى بلغت حوالي مائة وعشرين كتابًا والـذي وضـع فى تفسـير القرآن ، حسبما قرأت ، منظومة سلسلة توصف بالخلو من التكلف، وتبلغ مائـة وثمـانين ألـف بيت، تحـدث عنهـا ابن العمـاد فى "شـذرات الـذهب" وحاجي خليفة فى "كشف الظنون"[66].

وقد يستثمر "عوض" منطق "جب" فى دحض الدعوة، يدحض شبهته فى أن الأدب العربي أدب حضارة لا أدب شعب، فيقول : "وبالنسـبة لجب البريطـاني فمن المعـروف أن بلاده إنمـا تتكـون من أكـثر من إقليم لكـل واحد منها لغته الأصلية التى ما زالت حية لم تمت بعد، ومـع ذلـك لا نرانـا نقول عن الأدب الإنجليزي الذى ينتجه الشعب البريطاني إنه أدب حضــارة فقط ، بل نعده أدب شعب أولاً"[67].

يحتشد "عوض" فى الرد على اتهام "جب" للعقلية العربية بتأثرها خطى الهيلينيــة فى المنهج والنظــام والفضــول المعــرفي "وذلــك من خلال " المنطـق اليونـاني" الـذى لم يفلت من تـأثيره أي فـرع من فـروع العلـوم العربية : بدءًا من النحو وعلم الكلام، وانتهاءً بالجغرافيا والآداب"[68].

يدحضها من بنيانها بستة أدلة، يسوقها "عوض" متمثلة فى :

---

66 (?) نفسه 182، 183.
67 (?) نفسه 17.
68 (?) نفسه 79.

(1) أن ثمة آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة، ندعو المسلم إلى السعي بكل قوة إلى التأمل فى ملكوت الله والتفكر فى عجائب خلقه وإلى السعي الحثيث فى طلب العلم.."

(2) "أن تطلع العقل العربي والإسلامي فى حد ذاته إلى التعرف إلى علوم يونان لهو دليل لا ينقص على أنه عقل طلعة من قبل الاتصال بيونان وعلومها لا العكس كما يزعم جب زورًا وبهتاناً".

(3) " أن العرب فى الجاهلية كانوا على معرفة جيدة بالنجوم ، وأنهم كانوا قوماً رُحلًا لا يستقرون فى مكان إلا ريثما يتحولون عنه إلى مكان غيره أغزر عشبًا وأوفر ماءً.."

(4) أن أبا الأسود الدؤلي قد وضع أساس علم النحو منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام ، أي قبل اتصال العرب والمسلمين بالفكر اليوناني بزمن طويل، وأن الشافعي أرسى أصول الفقه اعتمادًا على القرآن والسنة، ليس إلا ، وذلك قبل بدء ترجمة التراث الإغريقي.."

(5) "ولا ينبغي أيضًا أن ننسى ما أبدعه العقل الإسلامي من بلورة للمنهج التجريبي الإبداعي خارجين بذلك عن منطق الإغريق الصوري الذي لا يؤدي إلى كشف أي جديد.." ثم يتفق مع "جب" فى نقطة وحيدة بالموضوع، تتصل بوسيط تواصل العرب مع اليونان فيقول :

(6) " على أن هناك نقطة فى كلام جب أراني موافقاً له فيما قاله بشأنها ، وهى قوله إن العرب لم يعرفوا التراث اليوناني معرفة مباشرة عن طريق قراءة النصوص اليونانية بأنفسهم، بل من خلال الترجمات السريانية"[69].

ويرد على "جب" فى موضع ثانٍ، ضالة محصوله العلمي بِشأن الشعراء الذى ألفوا فن الشعر وأنهم ليسوا إلا واحدًا هو "ابن المعتز" ، إذ يذكر له "عوض" مقرعًا وفاضحًا جهله العميم، من القدامى ثمانية عشر شاعرًا ألف فى فن الشعر، قرين كل منهم كتابه أو كتبه ، وهم[70]:

---

69 (?) يراجع فى ذلك كله : مدخل إلى الأدب من 80 إلى 84.

70 (?) يراجع فى ذلك كله : مدخل إلى الأدب 110، 111.

- السري الرفاء (ت118هـ)، وكتابه (المحب والمحبـوب فى المشـموم والمشروب).
- أبو حاتم السجستاني (ت 248هـ) ، وكتابه فحولة الشعراء.
- أبــو هلال العســكري (ت395هــ)، وكتابــاه "الصــناعتين" ، " شــرح الحماسة".
- الحاتمي (ت388هــ)، وكتبـه (الحـالي والعاطـل، والرسـالة الموضـحة، وحلية المحاضرة فى صناعة الشعر، سر الصناعة).
- ابن طباطيا العلوي (ت 322هـ)، وكتابه (عيار الشعر).
- الخالديان ت (380هـ، 390هـ)، وكتابهما (الأشباه والنظائر).
- الصاحب بن عباد (ت 385هـ)، وكتابه الكشف عن مساوئ المتنبي فى شعره).
- القاضــي أبي الحســن الجرجــاني (ت392ه)، وكتابــه (الوســاطة بين المتنبي وخصومه).
- ابن وكيع التنيسي (ت 393هـ)، وكتابه (المنصف).
- ابن شهيد (ت 393هـ)، وكتابه (التوابع والزوابع).
- الرقيق القـيراوني (ت 425هــ)، وكتابـه (قطب السـرور فى أوصـاف الخمور).
- ابن رشيق القيرواني (ت 463هـ)، وكتاباه (العمدة فى محاسن الشعر وآدابه، وقراضة الذهب).
- ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، وكتابه (سر الفصاحة).
- عبد القاهر الجرجـاني (ت 471 هــ)، وكتابـاه (أسـرار البلاغـة، ودلائـل الإعجاز)
- أسامة بن منقذ (ت 584هـ)، وكتابه (البديع فى البديع).
- ابن ظــاهر الأزدي (ت 613هــ) ، وكتابــاه (بــدائع البدائــه، و غــرائب التنبيهات على عجائب الشبهات).
- صـفي الـدين الحلي (ت 750هــ)، وكتابـاه (صـفوة الشـعراء وخلاصـة البلغاء، و العاطل الحالي والمرخص الغالي فى الزجل).
- ابن حجة الحموي (ت837هـ)، وكتابه (بلوغ الأمل فى فن الزجل).

هذا كله بخلاف ما ذكره "عوض" من شعراء محدثين ، ألفوا فى فن الشعر ، وقد عدد منهم عوض خمسة وعشرين، هم : شوقي والرافعي ومطران وميخائيل نعيمة والعقاد وشكري والمازني وأبو شادي والشابي وسيد قطب وحمزة شحاتة وإبراهيم العريّض ومحمد عبد الغني حسن ونزار قباني وأرونيس وصلاح عبد الصبور ومحمود شاكر ويوسف خليف وعبده بدوي وعز الدين اسماعيل وحسن فتح الله وغازي القصيبي جابر قميحة وفاروق شوشة وعبد العزيز المقالح[71].

خامساً: الاستطراد

يؤمن "عوض" بضرورة الإحاطة والاستفادة فى البحث العلمي ، وسيرته مع مسيرته مصداق عقيدته تلك .. يقول في مفتاحية مركزية هذا الشأن : " والبحث العلمي يقتضينا أن نناقش كل شاردة وواردة ، بل كل ساقطة ولاقطة، وأن نتحكم فى انفعالاتنا وعواطفنا ، فلا نهمل شيئًا مما يقوله أي إنسان بالغًا ما بلغ من السخف والشذوذ"[72]. ومن علامات استطراده ، أن يبدأ كلامه مثلًا بقوله (وبالمناسبة) [73].

ويتجلى هذا الاستطراد بيِّنًا حينما يعمد إلى ذكر ما لا يمت للموضوع بصلة ظاهرة بينة فى ثنايا حديثه عن ترجمة المستشرق الأيرلندي (ولفر سكاون بلنت) لأبيات لبيد بن ربيعة ص 17 من كتاب جب يقول عنه : " صديق الإمام محمد عبده ، والمدافع عن العرابيين (صدقا أو تظاهرًا) بعد حبوط ثورتهم على الخديوي توفيق فى أول ثمانينات القرن التاسع عشر وهزيمتهم فى معركتهم ضد الإنجليز"[74].

لكن استطراده فى كثير من الأحيان يسهم فى إضافة ما لا يجده القارئ عند غيره ، على نحو استطراده بثنايا حديثه عن المستشرق

---

71 (?) هذا أيضاً بخلاف ، ما فات د. "عوض" من أمثال عبد القادر القط وعلى عشري زايد ومحمد حماسة عبد اللطيف وعبد اللطيف أبو همام ومحمود الربيعي... وغيرهم.

72 (?) مدخل إلى الأدب 54.

73 (?) يراجع فى ذلك: مدخل إلى الأدب 38.

74 (?) مدخل إلى الأدب 45.

البريطاني (بالمر) إذ يقول عنه "عوض" : "قتله بدو سيناء بعـد اكتشـافهم أن هذا المجرم اللعين يشتغل جاسوسًا لحساب الإنجليز عشية حربهم مـع العرابيين التى انتهت بهزيمة الجيش المصري واحتلال جنـود "جـون بـول" أرض الكنانة سبعين عامًا سودًا"[75].

وبعد، فمن الحق والإنصاف أن "جهود الدكتور إبراهيم عوض" فى الرد على المستشرقين بما تتميز به من متابعة وثيقـة ومتصـلة وفريـدة تحتـاج إلى دراسة علمية خاصـة، يقـوم عليهـا أحـد محبيـه ومجايليـه ، وهم كُثْـرٌ، لتعزيز الولاء والبراء بفكـر البـاحثين الشـبان، الـولاء لهويـة الأمـة وثوابتهـا وللحق والحقيقة، والبراء من كل فكر مغلوط وناقد منقـوص الآلـة والأداة ومن كل خطأ أو خطل تروِّجه الشهرة كأنه الصواب. ورضي الله عنــه فى الأولين والآخرين

وأتمنى على الله تعالى أن يوفق الدكتور عوض إلى ترجمة ردوده على المستشرقين إلى لغاتهم الأصيلة، لينكشف عـوار رأيهم؛ ولتتـبين الحقيقـة لبني قومهم .. عسى ذلـك يكـون رسـول رَدْمٍ لشـيء من فجـوة حضـارية نفسية.. عقدية.. بيننا وبينهم.

وأوصي بتأسيس مختبر علمي ترعاه إحـدى كليـات العلـوم الإنسـانية بمصر، يُعْنَى بمتابعة كتابات المستشرقين فى اللغات العالمية الكبرى أولًا بأول، بهدف تصحيح المفاهيم الغربية.. المغلوطة والمشوِّهة.. المشوَّهة .. المبتسرة عنا، وعن حضارتنا وثقافتنا وديننا وأدبنا.

والحمد لله أولاً وآخراً

مصطفى محمد أبو طاحون (5/10/2016)

75 (?) نفسه 46.

المراجـــع

(1) أبو نواس الحسن بن هانئ، دراسة فنية نفسية اجتماعيـة أخلاقيـة، الدكتور إبراهيم عوض، مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة، 2015م.

(2) سـموم الاستشـراق والمستشـرقين فى العلـوم الإسـلامية، أنـور الجندي، دار الجيل بيروت، مكتبة التراث الاسـلامي بالقـاهرة ، الطبعـة الثانية 1985م.

(3) فلسفة الاستشراق وآثرها فى الأدب فى الآدب العـربي المعاصـر، دكتور أحمد سمايلوفتش، دار المعارف بمصر، د.ت.

(4) مدخل إلى الأدب العربي لهملتـون جب، قـراءة نقديـة (مـع النص الإنجلـيزي) ، د. إبـراهيم عـوض، المنـار للطباعـة والنشـر بالقـاهرة، 2008م.

(5) مناهج النقد العربي الحديث، دكتور إبراهيم عوض ، زهراء الشـرق بالقاهرة، 2003م.

(6) موسوعة المستشـرقين ، الـدكتور عبـد الـرحمن بـدوي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة، يوليو 1993م.